البحث التربوي كأحد متطلبات الإصلاح التربوي

Educational research as one of the requirements of educational reform

أ. بن زاف جميلة

قسم علم الاجتماع جامعة بسكرة.

الملخص:

ازداد الاهتمام بالبحث العلمي والمجال التربوي لتحسين العملية التعليمية ومد المجتمع بأساليب علمية لمواجهة المشكلات التربوية واتخاذ القرارات المناسبة، هو محور هذه المقالة التي تبحث في ضرورة الاستعانة بنتائج البحث التربوي في صياغة الإصلاحات التربوية لحقيق الفعالية المرجوة من خلال تعريف البحث التربوي وأهميته وأهدافه ومجالاته وشروط نجاحه للكشف عن نقاط الضعف في العملية التعليمية وإيجاد الحلول والبدائل الممكنة

Abstract:

The importance of scientific research and the educational field has improved the educational process and the extension of society in scientific ways to address educational problems and make appropriate decisions is the main purpose of this article, which discusses the need to use the results of educational research in the formulation of educational reforms to achieve the desired effectiveness through the definition of educational research and its importance and objectives and areas and conditions of success to reveal Weaknesses in the educational process and finding solutions and possible replacements.

تمهيد:

تعد التربية إحدى المجالات الواسعة والهامة من مجالات البحث العلمي، فهي كانت ومازالت مجالا مباحا لحملة الأقلام، أيا كانت تخصصاتهم واهتماماتهم الفكرية على اعتبار أن التربية من الشؤون العامة التي تهم كل الناس وتمس حياتهم وحياة أبنائهم.فعن التربية تحدث الفلاسفة والروائيون والعلماء إلى جانب المثقفين العاديين الذين لم يتخصصوا في مجال معين من المجالات العلمية، معتمدين في معالجتهم للموضوعات التربوية على جمع أكبر عدد ممكن من المعلومات عن موضوع التربية وترتيبها ترتيبا منطقيا، ثم عرضها في صورة جميلة أخاذة دون محاولة لفحص واقع التربية، أو إجراء تجارب علمية داخل حجرة الدراسة أو خارجها، وظل

الوضع هكذا حتى القرن التاسع عشر حين بدأ المشتغلون بعلم النفس يهتمون بالتربية، فخرجت مقاييس الذكاء والقدرات التي شاع استعمالها ومازال يعتمد عليها إلى حد كبير حتى الآن.

من هنا بدأ الاهتمام بالبحث العلمي في المجال التربوي بهدف تحسين العملية التعليمية ومد المجتمع بنظريات علمية وتفسيرات واسعة عن التربية.

لذا فقد أصبح البحث التربوي يحظى باهتمام متزايد في كثير من البلاد النامية والمتقدمة على حد سواء، لاستعانته بالأساليب العلمية في معالجة المشكلات التربوية واتخاذ القرارات المناسبة في ضوئها والكشف عن المعرفة الجديدة، وتقديم الحلول والإجابات والبدائل التي تساعدنا في تعميق فهمنا للأبعاد المختلفة للعملية التربوية وما يكتنفها من مشكلات وما نجهله من مجالاتها.

وانطلاقا من الأهمية البالغة التي يحظى بها البحث التربوي، وباعتباره مطلبا هاما من متطلبات الإصلاح التربوي، فقد جاءت هذه المقالة لتبين ضرورة الاستعانة بنتائج البحث التربوي في صياغة الإصلاحات التربوية في مدارسنا من أجل الوصول إلى تحقيق الفعالية المرجوة في محاور رئيسية هي تعريفه، أهميته، أهدافه، مجالاته وأخيرا شروط نجاحه.

أولا– تعريف البحث التربوي:

– عرف البحث التربوي على أنه:"نمط من أنماط البحوث العلمية، وهو استقصاء علمي يستخدم مداخل كمية وكيفية، وتقويمية لتحقيق أهداف معينة منها فهم العمليات التربوية، واتخاذ القرارات التي تخص الطلاب والمعلمين وعلى المدى البعيد للمجتمع كله."[1]

– كما عرف أيضا أنه:"أحد البحوث المجالية لاستخدام المنهج العلمي، حيث يهتم بالدراسة العلمية للظاهرات والمشكلات والمعلومات والعمليات التربوية."[2]

– كما عرف البحث التربوي على أنه:"وسيلة للدراسة تتضمن مجموعة من الخطوات العلمية المنظمة يستخدمها الباحثون في مجال التربية بغرض تقصي الحقائق والظواهر والمتغيرات والأدلة

---

[1] كمال عبد الحميد زيتون:منهجية البحث التربوي والنفسي من المنظور الكمي والكيفي، القاهرة عالم الكتب 2004 ص16.

[2] علي السيد محمد الشخيبي:علم اجتماع التربية المعاصر تطوره منهجيته تكافؤ الفرص التعليمية، القاهرة دار الفكر العربي، 2002، ص97.

التي ترتبط بالمشكلات المختلفة بغية تطوير المعرفة التربوية وإثرائها والوصول إلى حلول لتلك المشكلات التربوية والخروج بنتائج يمكن الاعتماد عليها للتطبيق في مواقف وحالات مشابهة."[1]

من خلال التعاريف السابقة نجد أن البحث التربوي، يستخدم الأسلوب العلمي في دراسته لمختلف الظواهر والمشكلات التربوية، كما عكف على إبراز أغراض البحث التربوي والتي تتمثل أساسا في تطوير المعرفة التربوية وإثرائها كما أن النتائج المتحصل عليها من خلال حل مشكلة معينة يمكن الاعتماد عليها في مواقف وحالات مشابهة.

ثانيا-أهمية البحث التربوي:

بما أن البحث في التربية جزء من البحث العلمي فإننا نجده هو الآخر يكتسي أهمية بالغة لكنه يتجه نحو التخصص في المجال التربوي، فمن خلاله يتم معالجة مختلف المشكلات التربوية بطريقة علمية وإيجاد الحلول الملائمة لها، خاصة في ظل التغيرات والمستجدات التي يعرفها عالمنا اليوم، وهو ما ينعكس بطبيعة الحال على العملية التعليمية ويجعلها تتعرض للعديد من المشكلات والعقبات، التي تقف في طريقها وتحد من فعاليتها وبالتالي يبقى البحث في التربية الملاذ الوحيد الذي يجنبنا الوقوع في المشاكل.[2] وبالتالي فإن أهميته تكمن في:

- يكسبنا منظورا مختلفا عن التربية والعملية التعليمية ويولد أفكارا جديدة عن طريقة التعامل مع المشكلات.[3]

- يقدم تحليلا شاملا لأوضاع النظام التعليمي، من أجل تعرف مواطن الضعف والقوة فيه، والقيود السياسية والإنسانية والمالية التي تعوق تطوره والمتغيرات التي يمكن التحكم فيها من حوله.

- يساعد في توفير المعلومات اللازمة لوضع أنماط أو نماذج تعبر عن حركة التعليم في مواقف وظروف معينة، يسهل بها تقدير النتائج في حالة تغير تلك المواقف.[4]

---

[1] عبد الرحمن عبد الرحمن النقيب:منهجية البحث في التربية رؤية إسلامية، القاهرة دار الفكر العربي1997، ص21.

[2] محمد منير مرسي:البحث التربوي وكيف نفهمه، القاهرة عالم الكتب، 1994ص ص 25-26.

[3] كمال عبد الحميد زيتون:مرجع سابق، ص17.

[4] حسن شحاتة:البحوث التربوية بين النظرية والتطبيق، القاهرة مكتبة الدار العربية للكتاب، 2001.

– تطوير النظريات العلمية والتربوية وتوليد المعرفة اللازمة وتحسين وفهم الممارسات التربوية عن طريق تأثير البحوث على تعديل المناهج وطرق التدريس وتطوير طرق الإعداد والتدريب التربوي والمساهمة في التغيير والإصلاح التربوي والمساعدة على فهم المشكلات التربوية وزيادة القدرة على حلها.[1]

– التوصل إلى أفضل السبل التي تمكننا من تطوير الجانبين النوعي والكمي للمخرجات التعليمية وتنشيط مؤسساتنا التربوية، من خلال تجديد برامجها ومعلميها وأنشطتها وطرائقها ومناهجها.[2]

– المساهمة الفعالة في تطوير التعليم في شتى مراحله، عن طريق تطوير مناهج الدراسة لكل مرحلة، وكذا تطوير الإدارة التعليمية وتطوير الأبنية التعليمية وتحسين وسائل التعليم والتربية، والإسهام في تحسين التعلم وتطوير أساليب التعليم.[3]

– توفير المعرفة العلمية حول المناهج والبرامج التربوية ومضامينها ومدى ملاءمتها وتكاملها للمستويات العمرية التي تطرح عليها.

– فهم المشكلات التربوية وتقديم الحلول العلمية للتغلب عليها، والتخفيف من حدتها سواء في النظام التربوي أو في المؤسسات التربوية والتعليمية، أو لدى هيئات التدريس أو لدى المتعلمين أو حتى على مختلف مستويات العمليات التعليمية كالمواد الدراسية وطرائق التدريس والوسائل التعليمية.

– مساعدة القائمين على العمليات التربوية والتعليمية بتحديد الطرق التربوية لإعداد النشء وتحصيل المعرفة العلمية لديه.[4]

---

[1] جودت عزت عطوي:أساليب البحث العلمي، مفاهيمه، أدواته طرقه الإحصائية عمان دار الثقافة، 2000، ص49.

[2] محمد منير مرسي:مرجع سابق، 2001، ص26.

[3] محمود عبد الحليم منسي:مناهج البحث العلمي في المجالات التربوية والنفسية، القاهرة دار المعرفة الجامعية، 2000 ص38.

[4] مربوحة بولحبال نوار :محاضرات في علم اجتماع التربية، الجزء الأول، وهران الجزائر دار الغرب، 2005، ص ص63–65.

– يعمل على مساعدة أولياء الأمور وأفراد الشعب على معرفة ماذا تحاول المدارس والمؤسسات الاجتماعية عمله، وما تريد تحقيقه وهذه المعرفة من شأنها أن تجعل أفراد الشعب ينظرون إلى التربية نظرة فاحصة ناقدة، ويتخيرون النواحي والنشاطات التي يمكن المساهمة بها لمساعدة المدرسة على أداء وظيفتها.[1]

لكن هذا لا يعني أن كل مشكلات التربية واقعة في اختصاص البحث العلمي، لأن كثيرا منها يمكن حله ببساطة وبقرارات إدارية أو مالية أو تنظيمية.

ثالثا–أهداف البحث التربوي:

إن الأهمية المتزايدة للبحث في التربية وقدرته على تشخيص المشكلات التربوية، والوصول إلى حلول لها تجعل من الدول المتقدمة والنامية على السواء تسطر له مجموعة من الأهداف وهي:

– اكتشاف قوانين وتعميمات يمكن استخدامها في صنع التنبؤات والتحكم في الأحداث المتصلة بالمواقف التربوية، وبهذا يمكن الاستفادة من نتائجه في عمليات اختيار وتدريب المدرسين وتصميم الكتب المدرسية ووسائل التعليم الأخرى.[2]

– وضع الأسس النظرية والعلمية لخطة تربوية عامة تنطوي على تحديد الأهداف التربوية العاجلة والآجلة لنوعيات التعليم ومراحله وصفوفه.

– تجويد نوعية التعليم وتحسين مردوده وتحديث المفاهيم التي ينبغي تعلمها والعادات التي ينبغي اكتسابها وكذا أساليب التفكير وتحسين نوعية التربية.

– تغيير الذهنية لدى القيادات التعليمية لتأخذ بمفهومات حديثة مثل تعدد الرؤى، التعليم للحياة وليس للامتحان وتنمية التفكير قبل التحصيل.[1]

---

[1] سعد مرسي أحمد:التربية، القاهرة عالم الكتب، 1982، ص65.

[2] عبد الرحمن عبد الله المقبول: البحث التربوي أهميته وممارسته ومعوقاته لدى المشرف من وجهة نظر المشرفين التربويين بمنطقة الباحة
http//www.minchawi.com/other/maqbool.htm.

وبهذا يمكننا أن نحدد الدور الذي يمكن أن يؤديه البحث التربوي في جملة من النقاط:

– مساعدة الأفراد على تصور المشكلات وتحديدها والتخطيط اللازم للتغلب عليها، فكثيرا ما يواجه الأفراد في الميدان التربوي مشكلات متنوعة تتطلب منهم استخدام أسلوب مميز في تحديدها وتقدير، ما يلزم من تدابير ووسائل لازمة لحل تلك المشكلات.

– تنمية التفكير العلمي في تقويم القضايا التربوية وتحليلها والتعرف على طرق علاجها فللبحث الجامعي التربوي دور كبير في تدريب العاملين على البحث والدراسة والتقصي.

– المساعدة على تلبية متطلبات التنمية الاجتماعية والاقتصادية، فعلى الرغم من أن استثمار المال في مجالات البحث من الأمور المكلفة، إلا أنه يأتي بنتائج تقدر بأضعاف ما استثمر فيه مما يؤدي إلى التنمية التربوية التي هي جزء رئيس في التنمية الشاملة، ويصدق هذا بصفة خاصة على البحوث التي تتناول مشكلات تربوية وتعليمية واقعية.

– مساعدة النظم التعليمية على القيام بالآتي:

أ– تطوير الكتب المدرسية.

ب– تحسين أساليب الإدارة التربوية والمدرسية.

ج– تطوير التقنيات التربوية واستخدامها في التعليم.

د– تحسين طرق التعليم والتعلم وفقا للاتجاهات التربوية المعاصرة.[2]

رابعا–مجالات البحث التربوي:

تتعدد مجالات الحث التربوي لذا يفضل البعض تحديدها انطلاقا من الإجابة عن الأسئلة الخمسة وهي كالتالي:

– مجال لماذا نعلم؟ ويتضمن مجال فلسفة التربية وأهدافها والسياسة التعليمية والتخطيط ومستقبليات التربية، واقتصاديات التربية واجتماعيات التربية وتاريخ التربية والتعليم.

---

[1] فايز مراد دندش:علم الاجتماع التربوي بين التأليف والتدريس، الإسكندرية دار الوفاء، بدون سنة، ص ص59–60.

[2] سلامة الخميسي:الأدب التربوي بعض قضايا التنظير والبحث والممارسة، الإسكندرية دار الوفاء، 2002، ص 187.

– مجال من نعلم؟ ويشمل التلاميذ من حيث مراحل نموهم وجوانب نموهم وقدراتهم وقيمهم واتجاهاتهم وميولهم ودوافعهم وحاجاتهم ومشكلاتهم ومستويات طموحهم.

– مجال من يعلم؟ ويشمل المعلمين والإداريين والموجهين بمختلف مستوياتهم من حيث برامج إعدادهم وتدريبهم وعلاقاتهم ومشكلاتهم ودوافعهم.

– مجال ماذا نعلم؟ ويتضمن المناهج الدراسية والأنشطة المدرسية والصفية من حيث إعدادها وتصميمها وتقويمها وتطويرها.

– مجال كيف نعلم؟ ويشمل طرق التدريس والوسائل التعليمية من حيث أنواعها واستخداماتها وكذلك تقويم أداء التلاميذ من حيث أنواعه وأساليبه وأدواته.

– مجال متى نعلم؟ ويشمل الفترات العمرية التي يتعلم فيها التلاميذ المواد الدراسية والموضوعات المختلفة وكذلك الفترات الزمنية لتدريس المواد المختلفة خلال اليوم الدراسي.

– مجال أين نعلم؟ ويتضمن أماكن التعلم وأنواع التعليم المدرسي.[1]

وإدراكا لأهمية البحث في التربية اهتمت الدولة الجزائرية والمسؤولون والجهات المعنية بقطاع التربية، واعتبرت الجامعة ومراكز البحث التابعة لها الإطار الطبيعي للبحث في التربية، كما رأت أنه من المفيد أن تتوسع مهام المعهد الوطني للبحث في التربية لتشمل البحث في كل مراحل التعليم من الأساسي إلى العالي.كما حددت مجالات البحث في مجمل الإنشغالات التربوية بدءا من تحضير الوسائل البيداغوجية والتعليمية وانتهاء بتسيير مؤسسات التربية والتكوين مرورا بتحليل الملامح النفسية والاجتماعية للمتعلمين.[2]

خامسا– شروط نجاح البحث التربوي:

إذا كان البحث التربوي ينطوي على هذه الأهمية، فلا بد أن نجاحه في تحقيق أهدافه يتوقف على جملة من الشروط أهمها:

---

[1] علي السيد محمد الشخيبي:مرجع سابق، ص 108.

[2] المجلس الأعلى للتربية:المبادئ العامة للسياسة التربوية الجديدة وإصلاح التعليم الأساسي، مارس 1998 ص6.

– الطلب الاجتماعي عليه: فأي مجتمع لا يقبل أن تكون تربية أبنائه غير واضحة الوجهة فهو بهذا محتاج إلى الوضوح الفكري لنظامه التربوي، وأيضا محتاج إلى الوثوق في كفاءة فكره التربوي، ومواكبة تطورات العصر، هذه الحاجات لا يسدها إلا وعي بأهمية التربية ومن ثم وعي مجتمعي بالحاجة إلى هذا النوع من البحوث الذي بإمكانه أن يجعل المجتمع يتأكد من مصداقية السير في الاتجاه الصحيح.

– وجود قنوات لنشر البحوث وتوصيلها للرأي العام وللمعنيين بنتائج البحوث من باحثين وصانعي قرار.

– الوضوح الذي يسمح للمستقبلين للغة البحث ومفاهيمه ومصطلحاته وتوجيهاته.

– توفير الدعم المادي والأدبي للباحثين فعندما تيسر الجامعة السبل لعمل الأستاذ الجامعي داخلها، وتيسر له الدولة ظروف المعيشة خارجها، وتنشط المؤسسات المختلفة في المجتمع للاستفادة من جهود الباحثين ودعمهم بنشر بحوثهم، فإن هذا سيزيد من نشاطهم في البحث والقراءة والتجريب.

– توفير مصادر المعلومات والاتصال بين مراكز البحوث والباحثين فمن غير المتصور أن تنشط حركة البحث الجامعي التربوي، في ظل مناخ لا تتوفر فيه البيانات الأولية سواء كانت إحصاءات أو معلومات تحجب عن الباحثين تحت أي ظروف.

– توفير وإعداد الكوادر المتخصصة من الباحثين وتوفير المناخ المواتي لتنمية هؤلاء الباحثين في مدارس علمية وتحت إشراف مشرفين من العلماء مؤمنين برسالتهم.

– حرية البحث العلمي، أي"الحرية الأكاديمية" فالباحث لا يمكنه أن ينشط في جو تسوده التحفظات والقيود التي تفرض على ممارسته البحثية، في مجالات معينة، ذاك أن الحرية شرط ضروري للإبداع العلمي.[1]

وانطلاقا مما سبق نخلص إلى القول أن إصلاح التعليم ببلادنا مرهون بتوفير جملة من الشروط إحداها البحث التربوي، ففي ظل التغيرات التي يشهدها عالمنا اليوم والتي أدت إلى

[1] سلامة الخميسي: مرجع سابق، ص 139.

قصور المدرسة بصورتها الحالية عن أداء أدوارها التربوية المنوطة بها بكفاءة وفاعلية كعجزها عن تغيير الذهنية، وأنسنة الإنسان والقصور عن الاتساع للأعداد الضخمة من الأطفال وظهور مشكلة التسرب والارتداد إلى الأمية والعنف، وغيرها من المشاكل التي أصبحت تمثل هاجسا لكل المهتمين بالتربية، تجعل من البحث في التربية اليوم مطلبا قوميا وجماهيريا لإصلاح التعليم ببلادنا، لذا فإن ضرورة إنشاء مراكز متخصصة بهذا النوع من البحوث والاستعانة بالخبرات الفنية المختلفة، والتعاون مع المنظمات الدولية وتشجيعه بكافة الوسائل الممكنة مع التوعية بأهميته في معالجة، المشكلات التي تواجهها النظم التعليمية في الدول العربية بصفة عامة والجزائر بصفة خاصة، كفيل بأن يجنبنا العديد من المشكلات والأزمات التي تهدد التعليم في بلادنا، وإعطاء حلول علمية وعملية لتلك المشكلات ويبعدنا عن الحلول العفوية.

وإذا كان البحث التربوي لا يستطيع أن يزيد عدد المدارس مدرسة واحدة، إلا أن في وسعه تقديم أحسن صورة يمكن أن تكون عليها المباني المدرسية، لنحقق أحسن النتائج في العملية التعليمية، وأن يقدم ما يسمى بالخارطة التعليمية لتوزيع المدارس توزيعا يتناسب مع ظروف كل بيئة، وإن كان لا يستطيع أن يحل مشكلة تنقلات المعلمين أو المعاملة البيروقراطية، فإنه يستطيع أن يقدم أحسن الوسائل لزيادة الدافعية والرضا عن العمل بينهم مما يرفع كفاءتهم في الأداء.

إذن فنحن اليوم في أشد الحاجة إلى الإستعانة بالبحث التربوي والنتائج التي توصل إليها والتي تكشف نقاط الضعف وتقدم الحلول والبدائل الممكنة، شرط توفير جملة من الشروط التي تكفل نجاحه وأدا وظائفه وتحقيق أهدافه بنجاح وهو ما ينعكس بالإيجاب على العملية التعليمية بصفة خاصة والنظام التربوي بصفة عامة، الذي نسعى ونأمل من خلاله إلى توفير جيل واع وقادر على الابتكار وصنع التغيير والتقدم والمساهمة في التنمية الشاملة التي تسعى بلادنا جاهدة من أجل تحقيقها.

قائمة المراجع:

1-كمال عبد الحميد زيتون: منهجية البحث التربوي والنفسي من المنظور الكمي والكيفي، القاهرة، عالم الكتب 2004.

2-علي السيد محمد الشخيبي:علم اجتماع التربية المعاصر تطوره منهجيته تكافؤ الفرص التعليمية القاهرة، دار الفكر العربي، 2002.
3-عبد الرحمن عبد الرحمن النقيب:منهجية البحث في التربية رؤية إسلامية، القاهرة دار الفكر العربي1997.
4-محمد منير مرسي:البحث التربوي وكيف نفهمه، القاهرة عالم الكتب، 1994.
5-المجلس الأعلى للتربية:المبادئ العامة للسياسة التربوية الجديدة وإصلاح التعليم الأساسي، مارس 1998 .
6-سلامة الخميسي:الأدب التربوي بعض قضايا التنظير والبحث والممارسة، الإسكندرية دار الوفاء، 2002، ص 187.
7-عبد الرحمن عبد الله المقبول: البحث التربوي أهميته وممارسته ومعوقاته لدى المشرف من وجهة نظر المشرفين التربويين بمنطقة الباحةhttp//www.minchawi.com/other/maqbool.htm
8-فايز مراد دندش:علم الاجتماع التربوي بين التأليف والتدريس، الإسكندرية دار الوفاء، بدون سنة.
9-حسن شحاتة:البحوث التربوية بين النظرية والتطبيق، القاهرة مكتبة الدار العربية للكتاب، 2001.
10-جودت عزت عطوي:أساليب البحث العلمي، مفاهيمه، أدواته طرقه الإحصائية ، عمان دار الثقافة 2000.
11-محمود عبد الحليم منسي:مناهج البحث العلمي في المجالات التربوية والنفسية، القاهرة دار المعرفة الجامعية، 2000 .
12-مربوحة بولحبال نوار:محاضرات في علم اجتماع التربية، الجزء الأول، وهران الجزائر دار الغرب 2005.